الدكتور عبد الله الدنان

الثعلبُ والبراغيث

دار البشائر
سورية - دمشق

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحفُوظَة

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

رسوم وإخراج: أحمد المفتي وسمر الطويل

عدد النسخ (١٠٠٠)
التحضير الطباعي مركز النبلاء
دمشق هاتف: ٢٢٢٤٣١٩
التنفيذ الطباعي
دار الشام للطباعة
دمشق هاتف: ٥٤١٥١١٢
فاكس: ٥٤٤١٢٨٤

دَارُ البَشَائِر
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف ٢٣١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩
دمشق ص.ب ٤٩٢٦-فاكس ٢٣١٦١٩٦

الدكتور عبد الله الدنان

الثعلب والبراغيث

دار البشائر

كانتِ القرودُ في الغابةِ تشرَبُ من البحيرَةِ وتغتَسِلُ بمائِها ثُمَّ تقعُدُ تَتدفَّأُ تحت أشِعَّةِ الشَّمسِ . وَكانَتْ أُمُّ القردِ الصغيرِ تبحثُ عَنِ البراغيثِ في شَعْرِ ابنِها . قالَ القردُ الصَّغيرُ : ماذا تفعلين يا أُمّي ؟ . .

قالَتِ أُمُّ القردِ : «أَنَا أبحثُ عَنِ البراغيثِ اللعينَةِ لأُخَلِّصكَ منها» .

قال القردُ الصغيرُ : ومَاذَا تَفعَلُ البراغيثُ ؟ . .

قالت أُمُّ القِرْدِ : البراغيثُ يا عزيزي تَعَضُّ الجلدَ وتمتصُّ الدَّمَ وهي تنتقِلُ من جسمٍ إلى جسمٍ ، فإذا كانت على جسمِ مريضٍ تنقُلُ المرضَ إلى الجسمِ السليمِ لذلكَ يجبُ أن نتخلَّصَ منها .

قالَ القردُ الصغيرُ : وما لونُ البُرغوثِ ؟ وهَلْ هوَ كبيرٌ أَمْ صغيرٌ ؟ . قالَتْ أُمُّ القردِ : لونُهُ بُنِّيٌّ غامِقٌ . وهو صغيرٌ ، بحجمِ حبَّةِ السِّمْسِمِ ولكنَّهُ قويٌّ جدّاً ، لَهُ رجلانِ تُساعدانِهِ في القفزِ . قالَ القردُ الصغيرُ : وهَلْ تأتي البراغيثُ إلينا فَقَط لِتَعَضَّ جلدَنا . قالت أُمُّ القردِ : البراغيثُ تأتي إلىٰ الحيواناتِ جميعِها ، والإنسانُ أيضاً إذا صارَ وسخاً تأتي إليهِ البَراغيثُ وتَعَضُّهُ . قالَ القردُ الصغيرُ : أَريني بُرغوثاً . قَالَتْ أُمُّ القِرْدِ : سأريكَ براغيثَ كثيرةً ، انظر ، إنها على الأوساخِ وعَلَى الحجارةِ ، لا تقتربْ منها لأنَّها ستقفِزُ عليكَ . هيّا نصعَدْ على الشَّجَرَةِ .

كانتِ البراغيثُ بينَ الأوساخِ ، وكانَ بعضُها يقفُ على الحجارةِ الوسخَةِ وأوراقِ الشجَرِ المتعفّنَةِ . إنَّها جائِعةٌ جدّاً ، وهي تستعدُّ للقفز على أيِّ حيوانٍ يقتربُ منها حتى تلتصقَ بجلده وتبدأ تمصُّ دمَهُ .

قالَ أحدُ البراغيثِ : نحنُ جُعْنَا كثيراً ، وهذهِ القرودُ بعيدةٌ ، إنّها فوقَ أَغصَانِ الأشجارِ ، ونحنُ لا نقدرُ أَنْ نقفِزَ عليها ، لا أَرَىٰ أيَّ حيوانٍ لكي نقفِزَ عليهِ ونَسْكُنَ في جلدِهِ . قالَ بُرغوثٌ آخرُ : انتظِر . . . انتَظِر . . سوف يمرُّ فأرٌ أو أرنبٌ . . وربّما يأتي جامُوسٌ أو ثعلبٌ ، وحينئذٍ نقفِزُ عليهم ونمتَصُّ دماءَهُمُ حتَّى نَشْبَعَ .

كانتِ القرودُ التي فوقَ أغصانِ الشَّجَرِ تنظرُ من بعيدٍ فَرَأَت ثعلباً يَتَّجِهُ إلى البِرْكَةِ وقدْ صَارَ قريباً مِنَ الأوساخِ .

قالَ القِردُ الصغيرُ لأُمِّهِ : انظُري يا أُمّي ، هذا ثعلَبٌ يريدُ أن يشربَ ، ولكنَّهُ صارَ قريباً منَ الأوساخِ . سوفَ تقفِزُ عليهِ البراغيثُ . قالَت أمُّ القردِ : طبعاً ، إذا صَارَ قريباً منها ستَقْفِزُ عليه . قالَ القردُ الصغيرُ : وماذا سيفعَلُ ؟ هَلْ يُمْسِكُهَا بأَصَابِعِهِ ليتَخَلَّصَ مِنْها مثلَمَا تفعلينَ أنتِ ؟ . .

قالت أمُّ القِردِ : الثعلَبُ ليسَ لَهُ أصابعُ مِثْلُنَا ، ولكِنْ لِنَنْتَظِرْ حتّى نَرَى ماذا سيفعَل إذا قفزَتْ عليهِ البراغيثُ .

وقفَ الثعلَبُ ليشرَبَ وكانَ قريباً منَ الأوساخِ الّتي عليها البراغيثُ . وكانَتِ البراغيثُ تُراقِبُهُ ، وعندَمَا كانَ مشغولاً بالشُّرْبِ قالَتْ جميعُ البراغيثِ :

« هيَّا . . هيَّا . . الآنَ جَاءَتْ فُرْصَتُنَا . . هيَّا نقفِزْ عليهِ . . أسرِعُوا قبلَ أَنْ يَبْتَعِدَ » .

قَفَزَتْ براغيثُ كثيرةٌ جدّاً عَلَى الثعلَبِ ، وَوَقَفَتْ عَلَى وَبَرِهِ وصارَتْ تُغَنّي وهي فرحةٌ . ثمَّ بدأتْ تنزِلُ إلى جِلْدِهِ حتَّى تَمُصَّ دَمَهُ .

رأىٰ القردُ الصغيرُ البراغيثَ الكثيرَةَ وهي تقفِزُ عَلَى وَبَرِ الثعلَبِ فَتألَّمَ كثيراً وصارَ يبكي ويقولُ لأُمِّهِ : « مسكينٌ هَذَا الثَّعلَبُ . . سوفَ تمتصُّ البراغيثُ دَمَهُ » . . .

يا أُمّي لماذا لا نقولُ لَهُ أَنْ يبتعدَ عَنْها ، يجبُ أن نُحَذِّرَهُ يا أُمّي ، إنَّ البراغيثَ مُتَوَحِّشَةٌ وهِيَ أعداؤُنا . قالَتْ أُمُّ القِردِ : اسمَعْ يا عزيزي ، صحيحٌ أن البراغيثَ أعداؤُنا ، ولكنَّ الثعالبَ أعداؤُنا أيضاً ، لأنَّها يمكنُ أَنْ تأكُلَ القرودَ الصغيرةَ إذا كانَتْ وحدها .

قالَ القِردُ الصغيرُ : إذاً ماذا نفعَلُ ؟ . .

قالَتْ أُمُّ القِردِ : إذا تقاتَل عدوّانِ لك فاتركْهُمَا ، وراقِبْ مَاذَا يحدُثُ . ويا عزيزي الصَّغِيرَ يجبُ أَنْ تعرفَ أنَّ الثعلَبَ عِنْدَهُ حِيَلٌ كثيرةٌ . . سوفَ ننظُرُ مَاذَا سيفعَلُ بالبراغيثِ . وصلتِ البراغيثُ إلى جلدِ الثَّعْلَبِ وبدأتْ تعَضُّهُ وتمتصُّ دَمَهُ وتقولُ : الآنَ سنشبعُ مِنْ هَذَا الثعلبِ.أحسَّ الثعلَبُ بالوخزِ في جلدِهِ ، ولَمْ يَعْرِفْ ما الذي يَفعلُ بهِ ذلكَ ، فظنَّ أَنَّهَا أشواكٌ . تلفّتَ حَولَهُ ولكنَّهُ لم يَرَ أَشْوَاكاً . دارَ الثَعلبُ حولَ نفسِهِ حتَّى يعرفَ مَا الذي يَخِزُهُ . تألَّمَ الثَّعلَبُ وبدأَ يَحُكُّ جسمَهُ بفَمِهِ ، ولكن الوخزَ ازداد كثيراً . نظرَ الثعلَبُ إلىٰ الأوساخِ الّتي بجانبهِ فرَأَىٰ البراغيثَ وهيَ تقفِزُ مِنْها وتحطُّ على ظهرِهِ ورقبتِهِ وذيلِهِ . عَرَفَ الثعلَبُ أَنَّها هيَ الّتي تعَضُّهُ وتؤلِمُهُ . قَفَزَ الثَّعْلَبُ في الهواءِ حتّى يُمسِكَ البراغيث ولكنَّهُ لم يقدِرْ أَنْ يُمسِكَ أياً مِنْهَا .

حطَّتْ مجموعةٌ مِنَ البراغيثِ على أُذُنَيِّ الثعلبِ . رفَعَ الثعلَبُ إحدَى يديهِ وضربَ بها أُذُنَهُ لكَيْ يقتُلَ البراغيثَ أَوْ يجعَلَهَا تهربُ ، ولكنَّ البراغيثَ وصَلَتْ إلى الجِلدِ وبدأت تقرُصُهُ .

ابتعدَ الثعلَبُ عَنِ الأوساخِ حتَّى لا تقفِزَ عليهِ براغيثُ أُخْرىٰ ، ولكنَّهُ ظَلَّ يتألَّمُ من وَخزِ البراغيثِ الّتي وصَلَتْ إلىٰ جلدِهِ . قالَ الثعلَبُ لنفسِهِ : أنا يجبُ أَنْ أهدأَ ، ولا أصرخَ ، ولا أقفِزَ ، حتَّى أُفكِّرَ جيّداً . يجبُ أن أخترِعَ حيلَةً أُنقِذُ بها نفسي . قعد الثعلَبُ تحتَ الشَّجَرَةِ يُفَكِّرُ وقالَ : يَا رَبُّ ساعِدْني حتَّىٰ أُفكِّرَ جيّداً .

فكّرَ الثعلَبُ وقالَ : الحمدُ للهِ . . أنا اهتديتُ إلى حيلَةٍ ، سوفَ أتخلَّصُ مِن هذِهِ البراغيثِ مرّةً واحدةً . بدأَ الثَّعْلَبُ ينتِفُ وبَراً مِنْ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِه ، ويجمع الوبرَ في فمه . رأَى القردُ الصَّغيرُ ما فعلَ الثعلَبُ ، فتعجَّبَ وقالَ لأُمِّهِ : هَلْ ترينَ يا أُمّي ماذا يفعَلُ الثعلَبُ ، إنَّهُ ينتِف وبَرَهُ ؟ . . مَاذَا سيفعَلُ يا تُرىٰ ؟ . .

قالَت أُمُّ القِردِ : انتَظِرْ يا عزيزي حتَّى نَرَى ماذا سيفعَلُ بعد ذَلِكَ ، إنَّ الثعلَبَ ذكيٌّ جدّاً ، ولا شكّ أنّهُ اخترعَ حيلَةً عجيبَةً .

جمَعَ الثعلَبُ حُزمةً كبيرةً مِنْ وَبَرِهِ في فَمِهِ ، وركضَ إلى البُحَيْرَةِ وهُوَ يقولُ لنفسِهِ : سوفَ أجعلُ البراغيثَ اللعينَةَ تندَمُ لأنَّها قفَزَتْ عليَّ .

كانتِ القرودُ تُراقبُ الثَّعْلَبَ ، فقالَ القردُ الصَّغِيرُ لأُمِّهِ : انظُري . . الثعلَبُ يريدُ أَنْ ينزلَ في الماءِ وَقَد وضَعَ الوبَرَ في فمِهِ . .

هَلْ تعرفينَ ماذا سيفعَلُ ؟ . .

قالت أمُّ القردِ : لا أعرفُ يا عزيزي . . دعنا نَنْظُرْ حتّى نَرَى حيلَتَهُ .

غطسَ الثعلَبُ في الماءِ بهدوءٍ . بدأت البراغيثُ تحسُّ أنّها ستختنقُ . . تركتِ البراغيثُ جلدَ الثعلبِ وبدأتْ تصعَدُ إلى سَطحِ الماءِ ، وظلَّ هو يهبطُ والبراغيثُ تصعَدُ ، وأخيراً غطَّسَ رأسَهُ في الماءِ بهدوءٍ فتجمَّعتِ البراغيثُ عَلَى الوَبَرِ الذي في فمِ الثَّعلَبِ حتَّى لا تختنِقَ وهي تحتَ الماءِ . قالَتْ أُمُّ القردِ لابنِها : انظُرْ يا عزيزي انظُرْ ، أَلاَ تَرَىٰ البراغيثَ المتجمِّعَةَ على الوبَرِ الذِي في فمِ الثعلَبِ حَتَّى لا تغرَقَ في الماءِ . قالَ القِرْدُ الصغيرُ : نعَمْ أَنا أَرَاهَا ، وَلكِنْ مَاذَا سيفعَلُ بِهَا الثعلبُ ؟ . . هَلْ سيأكُلُها ؟ . .

قالَتْ أُمُّ القردِ : لننظُرْ حَتَّى نَرَى ماذا سيفعَلُ بها ؟ .

تركَ الثَّعلَبُ حُزْمةَ الوَبَرِ التي عَلَيْها البراغيثُ ، وسبَحَ بعيداً ثُمَّ خرجَ من الناحِيَةِ الثانِيَةِ من البُحَيْرَةِ وهو يقولُ : هذهِ حيلَةٌ نافِعَةٌ ، لقد أنقَذْتُ نفسي من هذهِ البراغيثِ اللعينةِ . الحمدُ للهِ الّذي جعلَني أُفكِّرُ بهذِهِ الحيلَةِ . التفكيرُ السليمُ يُنْقِذُ من الأعداءِ ، يجبُ أَن أنتبِهَ حَتَّىٰ لا أقتَرِبَ مِنَ الأوساخِ مرَّةً أُخْرىٰ .

وقفَ الثعلَبُ عَلَى شاطىء البحيرةِ لكي يستريحَ مِنَ الوخْزِ الذي سبَّبَتْهُ لَهُ البراغيثُ . نَظَر إلى كتلَةِ الوبَرِ التي عَلَيْهَا البراغيثُ ، فوجَدَ عدداً من الضفادعِ يقتربُ منها . بدأتِ الضفادعُ تلتهِمُ البراغيثَ التي قفزت من كتلةِ الوَبَرِ إلىٰ الماءِ . فَرِحَ الثعلَبُ وقالَ هذا جزاؤُكِ أَيّتُها

البراغيثُ اللعينةُ .

كانتِ القرودُ تُراقِبُ ما فعلَ الثعلَبُ وكيفَ أَنَّهُ اخترعَ حيلَةً ذكيّةً . لَقَدْ جَعَلَ البراغيثَ تتجمَّعُ حولَ كُتْلَةِ الوَبَرِ ثمَّ تركَها وخرجَ من النّاحيَةِ الأخرَى من البحيرَةِ . تعجَّبَتِ القرودُ مِنْ هذِهِ الحِيلَةِ الذكيَّةِ ، وقالَ القردُ الصغيرُ لأُمِّهِ :

يا لَهُ من ثعلَبٍ ذكيٍّ . فقالت أمُّ القردِ : تعلَّمْ يا عَزيزي كيفَ تُنْقِذُ نفسَكَ بحيلَةٍ ذكيَّةٍ .

أما الثعلب فقد وقف بجانب البحيرة وهو ينظر إلى حزمة الوبر .
وبعد قليل جاءت ضفدعتان وبدأتا تأكلان البراغيث .

فرح الثعلب كثيراً لأنه خلّص نفسه من البراغيث بحيلة ذكية ، وبدأ يغني ويقول :

البـراغيـث الخبيثـة فـاجـأتنـي ، هـاجمتنـي
قفزت من كل صوبٍ فوق ظهري ، فوق بطني
فوق صدري فوق رأسي فوق أنفي ، فوق أُذْني
قـرصتنـي ، وخـزتنـي آلمتنـي ، أوجعتنـي
بـدأت تقتـات منـي،مـن دمـي وهـي تغنّـي
قـد عـرفـت الحـلّ بـالفكـرِ وليـس بـالتمنّـي
وبـري هـذا سـلاحـي مـا اشتـريـتُ فهـو منّـي
حـزمـةً منـه وضعـتُ بفمـي قـد انقـذتنـي
غُصْـتُ فـي المـاء بلطـفٍ وأنـاةٍ وتـأنّـي
وعلـى الحـزمـةِ جَمَّعْـتُ البـراغيـثَ بفنّـي
ثـمّ ألقيـت بهـا فـي المـاءِ كـي تَبعُـدَ عنّـي
ذهبـت تـأكلُهـا الضِفْـدَعُ لمّـا تـركتنـي
قـد شكـرت الله ربّـي إنـه فتّـح ذهنـي
قـد أتـانـي النصـر بـالفكـرِ وكـان اللهُ عـونـي

* * *

سلسلة « الحيوانات تفكّر »

تهدف هذه السلسلة إلى تعليم الأطفال التفكير ، وأساليب المحاكمة العقلية ، وكيفية الوصول إلى القرار الأمثل لحل المشكلات ، وذلك بتحديد المشكلة ثم التشاور ، وتجريب الحل وقبوله أو تعديله أو رفضه وتغييره ، بناء على التجربة .

ولتحقيق هذا الهدف ، يعرض الكاتب في كل قصّة نمطاً من سلوك حيوان أو مجموعة حيوانات في مواجهة مشكلة ، وكيفية الوصول إلى حلها حلاً صحيحاً . والمشكلات التي تتحدث عنها القصص هي مشكلات حقيقية نابعة من واقع الحيوانات ، عرضها الكاتب بأسلوب جذّاب شيّق للأطفال الّذين تخاطبهم السلسلة ، والّذين تتراوح أعمارهم من السابعة إلى الثانية عشرة .

ومن المفيد أن ننوه هنا أن علماء الأحياء بدأوا يعتقدون مؤخراً أن عبارة « الغريزة » لا تكفي لتفسير سلوك الحيوانات ، وأنهم بدأوا يميلون إلى القول بأن الحيوانات تفكّر ، وبدأت الكتب تصدر لتأييد هذا القول .

ولذا ، وانسجاماً مع آخر نظريات تفسير سلوك الحيوانات ، وتحقيقاً لهدف تربوي أساس وهو « تعليم حلّ المشكلات » تصدر هذه السلسلة بعنوان :

« الحيوانات تفكّر »

الدكتور عبد الله الدنان

- ولد في صفد ، فلسطين عام ١٩٣١ ، ومقيم في سورية منذ عام ١٩٤٨ .
- مجاز في الأدب الانجليزي من جامعة دمشق ، ودكتور في اللغويات التطبيقية من جامعة لندن .
- أمضى أكثر من خمسين عاماً في التربية معلماً ومدرساً وأستاذاً جامعياً .
- باحث لغوي وروائي وشاعر .
- نشر العديد من البحوث في تعليم اللغة الانجليزية ، وتعليم اللغة العربية للأطفال واللغويات الحاسوبية .
- قام بإجراء البحوث اللغوية لبرنامج « **افتح يا سمسم** » وأشرف على اللغة العربية للبرنامج .
- نشر رواية كويتية « **يا ليلة دانه** » ، ورواية فلسطينية « **خبز وبارود** » .
- صاحب نظرية تعليم اللغة العربية للأطفال بالفطرة قبل سن السادسة .
- أسس في الكويت « **دار الحضانة العربية** » عام ١٩٨٨ وفي سورية « **روضة الأزهار العربية** » عام ١٩٩٢ لتعليم الفصحى للأطفال بالفطرة .
- هو الآن متفرغ لنشر فكرة تعليم الفصحى للأطفال قبل سن السادسة لإنشاء أجيال عربية مبدعة .
- يؤمن بضرورة تعليم الأطفال التفكير وأسلوب البحث العلمي ، والتشاور للوصول إلى قرار . ولهذه الغاية بدأ بإصدار « **سلسلة قصص للأطفال** » ضَمَّنَها خُلاصة تجاربه وفكره ، واختار لها عنوان :

« **الحيوانات تفكّر** »

سلسلة الحيوانات تفكر ١٢/١

١ ـ العنكبوت والذبابة .
٢ ـ القنفذ والثعلب .
٣ ـ السحلية والقط .
٤ ـ العصافير وأفراس النهر .
٥ ـ الثعلب والبراغيث .
٦ ـ النحل والزنبور .
٧ ـ الحرذون والحية .
٨ ـ الثعلب والنمل .
٩ ـ الدلفين وأسماك القرش .
١٠ ـ العصافير والجرذان .
١١ ـ النمور والجمال .
١٢ ـ الحرباء والأرنب .